

القَصَصُ الدِّينِيّ
الحلقة الثالثة
قصص خلفاء الراشدين

أَبُو بَكْرٍ
وَحَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ

عبد الحميد جودة السحار

٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ،
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
(قرآن كريم)

١

أمر أبو بكر الصديق خالد بن الوليد ، أن يسير إلى
العراق ، وأن يتألف الناس ، ويدعوهم إلى الإسلام ،
فإن أجابوا كان لهم ما للمسلمين ، وإلا أخذ منهم
الجزية ، وهي مبلغ معين من المال يدفعه القادرون
للمسلمين ليخموهم ، ولا يؤذوهم . ولا ظلم في
ذلك ، المسلمون يدفعون الزكاة ، والذين يبقون على
دينهم يدفعون الجزية ، وبذلك يتساوى الفريقان ،
اللذان يعيشان في دولة واحدة .

وسار خالد بجيشه حتى إذا بلغ الحيرة ، خرج إليه

أشرفها ، فقال لهم :

- أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أجبتُم إليه فأنتم
من المسلمين ، لكم ما لهم ، وعليكم ما عليهم ، فإن أبيتُم
فالجزية ، فإن أبيتُم فقد أتيتكم بأقوامٍ أحرضُ على الموتِ
منكم على الحياة ، وجاهدناكم حتى يحكم الله بيننا
وبينكم .

والنفت خالداً إلى أحدهم ، ليسأله من أين جاء ،
وعلى أيِّ دينٍ هو ، قال :

- من أين خرجت ؟

فقال الرجلُ في عِثٍّ :

- من بطنِ أمي .

قال خالد :

- ونحك ، على أيِّ شيءٍ أنت ؟

- على الأرض .

- ونحك ، وفي أيِّ شيءٍ أنت ؟

- في ثيابي .

فضاق خالدٌ بحبسه وقال له :

- تعقل ؟

- نعم .

- إنما أسألك ؟

- وأنا أجيبك .

- أسلم أنت أم حرب ؟

- بل سلم .

- فما هذه الحصون التي أرى ؟

- بينهاها للسفيه لحبسه ، حتى يجيء الحلیمُ فيها .

وتشاور أشرافُ القوم ، ثم قالوا لخالد :

- ما لنا بحريك من حاجة ، بل نُقيم على ديننا

ونُعطيكَ الجزية .

وصالحهم خالدٌ على تسعين ألفَ درهم ، وُحِمِلَتِ

الجزيةُ إلى المدينة ، لِنُفِقَها أبو بكرٍ على المسلمين .

جمع هُرْمِيز ، نائبُ كِسْرَى ملكِ الفُرس ، الَّذِي كَانَ
يُحْكَمُ الْعِرَاق ، جُمُوعاً كَثِيرَةً ، وَسَارَ لِيُقَاتِلَ الْمُسْلِمِينَ
الَّذِينَ جَاءُوا يَغْزُونَ الْبِلَادَ ، وَنَزَلَ هُرْمِيزُ وَمَنْ مَعَهُ عِنْدَ
الْمَاءِ ، وَنَزَلَ خَالِدٌ وَالْمُسْلِمُونَ تَجَاهَهُمْ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ ،
شَكَأ أَصْحَابُ خَالِدٍ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ :

— جَالِدُوهُمْ (قَاتِلُوهُمْ) حَتَّى تُجْلُوهُمْ عَنِ الْمَاءِ ، فَإِنَّ
اللَّهَ جَاعِلُ الْمَاءِ لِأَصْبِرِ الطَّائِفَتَيْنِ .

وَتَقَدَّمَ هُرْمِيزُ عَلَى حِصَانِهِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةٌ
مُزْدَانَةٌ بِالْجَوْهَرِ ، كَانَتْ تُقَدَّرُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ - ثُمَّ نَزَلَ
عَنِ حِصَانِهِ وَقَالَ :

— هَلْ مِنْ مُبَارَزٍ ؟

فَتَقَدَّمَ خَالِدٌ ، سَيْفُ اللَّهِ الْمَسْلُوكُ لِقِتَالِهِ . فَضْرَبَ
هُرْمِيزُ خَالِدًا حَزْبَةً ، أَثَقَاها بِدِرْعِهِ ، ثُمَّ هَجَمَ عَلَى هُرْمِيزَ
وَاخْتَضَبَهُ ، فَلَمَّا رَأَتْ حَامِيَةُ هُرْمِيزَ أَنَّ خَالِدًا سَيَقْتُلُهُ ،

أرادت أن تهجم على خالد ، لتخلصه من يده ، ولكن خالد لم يلتفت إليهم بل قتله ، وهجم المسلمون على الحامية وقتلوا .

وبدأ القتال بين المسلمين والفرس ، فأخذ المسلمون يقتلون أعداءهم ، الذين كانوا مقيدين بعضهم إلى بعض بالسلاسل ، حتى لا يفرّوا ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وانهزم الفرس وفرّوا .

فراح خالد ومن معه يجمعون ما تركه الفارّون ، وكان شيئاً كثيراً ، وقد أخذوا فيما أخذوا فيلا كان الفرس يستعملونه في القتال .

وقسم خالد الغنائم ، وأرسل إلى أبي بكر في المدينة خمسها ، وورّع الباقي على الجنود ، وقد كان في الخمس قلنسوة هرمز التي تألق بالجوهر .

عاد رسول خالد إلى المدينة ، يحمل خمس الغنائم ، وكان معه القيل الذي استولى عليه المسلمون ، فلما دخل المدينة ، خرج النسوة ينظرن إلى القيل ، وجعلن يقلن :

المسلمون يقتلون الفُرس قتلاً ذريعاً ، وانتصروا عليهم ، وغنموا غنائم كثيرة . ولما كانت بلادُ العربِ بلاداً مجربة ، لا زرع فيها ولا ماء ، ولما كانت البلادُ التي يستولون عليها بلاداً خصبّة ، قام خالدٌ في جيشه وخطب ، فقال :

- ألا ترون ما ها هنا من الأطمينات ؟ وبالله لو لم يلزمنّا الجهادُ في سبيلِ الله والدُّعاءِ إلى الإسلام ، ولم يكنِ إلاّ المعاش ، لكان الرأى أن نقاتلَ على هذا الرّيف ، حتى نكونَ أولى به .

٤

رجع أبو بكر الصّدّيقُ من الحجِّ ، فجمع الجنودَ ليرسلهم إلى الشام ، فلما اجتمع الناس ؛ أرسل جيشاً بقيادة خالد بن سعيد بن العاص ، ثم أرسل جيشاً بقيادة يزيد بن أبي سفيان وجعل وجهته دِمَشق ، وأرسل جيشاً ثالثاً بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح ، وجعل وجهته حمص ، وأرسل جيشاً رابعاً بقيادة عمرو بن العاص ، وجعل وجهته فلسطين .

والمسلمون يجرّون خلفهم يقتلونهم . وانتهت موقعة
البرموك بنصر مبین للمسلمين ، قُتل من الروم مائة ألف
وعشرون ألفاً ، وقُتل من المسلمين ثلاثة آلاف . ولما
أصبح الصّباح وثم النّصر ، رأى خالد بن الوليد أن يُخبر
الناس بموت أبي بكر الصّديق ، فقام خطيباً وقال :

— الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت ، وكان
أحبّ إلى من غمّر ، والحمد لله الذي ولى غمّر ،
وكان أبغض إلى من أبي بكر ، والزّمني حبه .

وسارت الجيوش الإسلامية لفتح الشام ، وقد صار
أبو عبيدة قائداً للجيوش ، وراح خالد يحارب وهو
جندى عادى في جيش المسلمين ؛ لم يغضب لعزله ولم
يثر ، فقد كان على يقين أنه يحارب في سبيل الإسلام ،
وأنه سيف من سيوف الله ، سلّه على المشركين .